

في نور محمد فاطمة الزهراء

أم لم يأتهم نبأ ابن الهيثبان؟ إنَّه يهودي من أهل الشام، روى قصَّته شيخ من بني قُرَيْظَةَ بيثرب، قال: قدم علينا قبل الإسلام بسنين، فحلَّ بين أظهرنا، فوالله ما رأينا رجلاً قطَّ خيراً منه. فكذَّبنا إذا أقحط المطر أتيناه ليستقي لنا، فيقول: لا والله حتى تقدِّموا بين يدي نجواكم صدقة، فكذَّبنا نخرج الصدقة: صاعاً من تمر ومُدَّ يَنْ من شعير، فيمضي بنا إلى ظاهر حرتنا فيستقي لنا، فوالله ما يبرح محلَّه حتى يمرَّ السحاب، ويسقينا الله يقول الراوية: فلمَّا حضرته الوفاة، وعرف أنَّه ميت، نادى فينا: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أهل الخمر إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: إنَّما قدمت هذه الأرض أتوقَّع خروج نبي قد أطلَّ زمانه، وهذه البلدة مهاجرة، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، فلا تُسبِّقُنَّ إليه يا معشر يهود [395]. فكم هي الأولى بينهم صدِّقوه؟ * * * لكنَّ قريشاً طوت كشحاً عن كلِّ تلك الأنبياء، ونبت كلُّ النبو بما جاءها على السنة أولئك وأمثالهم من الأحبار والرهبان وغيرهم من ذوي المعرفة والصفاء النفسي، الذين دلَّهم علمهم بالصحف الأولى، وغوصهم في آثار الأقدمين، واستجلاؤهم خبايا الأيام – من خلال رصف الحسِّ، ونقاوة السلائق – على مبعث الرسول. لقد تواردت عليهم تلکم الأخبار في ذلك الأوان، وكانوا لوقوع ما تومئ إليه من الأحداث ناظرين. فإن يكونوا جهلوا فهذا هو المحال، أو يكونوا علموها وآثروا كتمانها، فلماذا